المقدمة

كان مما يشغلني طويلاً استعمال «طٰهٰ» و «يٰسٓ» علمين لكثير من الناس؛ لأن الذي يغلب على ظنّي أنهما من الحروف المقطّعة التي يبتدئ بها كثير من سور القرآن نحو «الٓمٓ، والٓمٓصٓ، والٓرٰ، وطسٓ، وحمٓ»، وغيرها.

وبدا لي أن ناساً كثيرين سُمُّوا بـ «طٰهٰ»، أو «يٰسٓ» ليس في وقتنا هذا فحسب، بل في عصور مضت. وبرجوعي إلى كتب التراجم، وجدت أن صاحب «فوات الوفيات» ينبّه على أحد الأعلام ممن سُمُّوا بـ «طٰهٰ» وهو أقدم من سُمّي بـ «طٰهٰ» من الأعلام - فيما أعلم وهو:

«طٰهٰ» بن إبراهيم بن أبي بكر الشيخ جمال الدين أبو محمد الإرْبِلِيّ الفقيه الشافعي؛ ولد بإرْبِل سنة بضع وتسعين وخمسمائة، وقدم مصر شاباً، وسمع محمد بن عمار وغيره، وحمل الناس عنه، وله شعر وروى عنه الدمياطي والدواداري وغيرهم، وتوفي سنة تسع وسبعين وستمائة،

وقد جاوز الثمانين رحمه الله. . .»[1].

أي أنه من رجال القرن السابع الهجري.

ونبَّه ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة على «طُهْ الحلبيّ المقرئ النحويّ. . . وكان عنده كياسة ومكارم ويلقب علم الدين. . . ومات في سنة (٧٢٥)[2] فهو من

---

(١) محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ٢/ ١٣٠، ١٣١. وانظر في ترجمته: جمال الدين عبد الرحمن الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م، ١/ ١٥٣، ١٥٤ وذكر أنَّ لقبه كمال الدين وأنه مات بمصر في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وستمائة. وحذا حذوه أبو الفدا الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ١٣/ ٢٨٢. وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ١/ ٤١٧. وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط٢، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ٥/ ٣٧٥، ٣٥٨.

(٢) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيِّد جاد الحق، مصر، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ط٢. ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، ٢/ ٣٢٨. =

رجال القرن الثامن الهجري. أما خير الدين الزركلي فقد ذكر سبعة ممن سُمُّوا بـ (طٰهٰ)، وجميعهم من المتأخرين زمناً عن ذينك الرجلين وهم طٰهٰ السّنوي وهو قاضٍ شرعيّ عراقيّ، توفّي سنة (١٣٠٠هـ)[١]، وطٰهٰ أحمد وهو أديب مصريّ، توفي سنة (١٣٥٤هـ)[٢]، والأديب المعروف طٰهٰ حسين المتوفى سنة (١٣٩٣هـ)[٣] وطٰهٰ الهاشمي وهو عراقيّ، توفي سنة (١٣٨٠هـ)[٤]، وطٰهٰ الراوي وهو أديب وباحث عراقي، توفي سنة (١٣٦٥هـ)[٥]، وطٰهٰ سرور، وهو باحث مصريّ، توفي سنة (١٣٨٢هـ)[٦]، وطٰهٰ بن مهنّا الحلبي توفي سنة (١١٧٨هـ)[٧] فهؤلاء أعلام بارزون سُمِّي كلُّ واحدٍ منهم بـ «طٰهٰ».

= وانظر في ترجمته:
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية (د. ت)، ٢/ ٢١.

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م، ٣/ ٢٣١.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢٣١.

(٣) المرجع السابق، ٣/ ٢٣١.

(٤) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(٥) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(٦) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(٧) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

وأشار صاحب معجم المؤلفين إلى كثير من الأشخاص الذين سُمُّوا بـ «طٰهٰ»[1]؛ بيد أنهم جميعاً من المتأخرين أيضاً.

وليس الغرض هنا حصر من سُمُّوا بـ «طٰهٰ» بل الغرض التأكيد بأن «طٰهٰ» علماً كان معروفاً في الماضي والحاضر: لذلك اكتفيت بذكر بعض من سُمُّوا بـ«طٰهٰ»، وتتبعت ذلك عبر العصور، فوجدت أنَّ أقدم من سُمِّي بـ «طٰهٰ» من الأعلام عاش في القرن السابع الهجري، وهو طٰهٰ بن إبراهيم الفقيه الشافعي، ثم ظلت التسمية بـ «طٰهٰ» مستمرة إلى وقتنا هذا.

أما من سُمُّوا بـ «يٰسٓ» فهم كثر في الماضي والحاضر، فمنهم من عاش في عصر متقدِّم جداً وهو كما يذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب: ياسين بن شيسان أو ابن سنان ـ ولم ينبِّه ابن حجر على السنة التي مات فيها؛ ولكن يفهم من حديثه عنه أنه معاصر لـ «سفيان الثوري» الذي ولد عام (٩٧هـ)، وتوفي عام (١٦١هـ) كما في كتاب الأعلام[2].

---

(١) انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، (د. ت)، ج٥/٤٣، ٤٤، ٤٥.

(٢) انظر الزركلي، الأعلام، ٣/١٥٨.

لذا فالراجح أن «ياسين» هذا قد عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. وهو من رواة الحديث.

قال ابن حجر العسقلاني في «من اسمه ياسين»[1] ما نصه: «ياسين بن شيسان ويقال ابن سنان العجلي الكوفي، عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله تعالى في ليلة... قلت (أي ابن حجر): وقال يحيى بن يمان: رأيت سفيان الثوري يسأل ياسين عن هذا الحديث. قال ابن عدي: «وهو معروف به» انتهى»[2].

وذكر ابن حجر العسقلاني محدثاً آخر اسمه «ياسين» عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وهو «ياسين بن عبد الأحد بن أبي زرارة الليث بن عاصم بن كليب القِتْباني أبو اليُمن المصري... قال النسائي: لا بأس به، وقال ابن خزيمة: كان ملكاً من الملوك... وقال ابن يونس: صدوق الحديث... مات سنة تسع وستين ومائتين في رمضان...»[3] انتهى.

---

(١) شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٧هـ، ١١/ ١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ١١/ ١٧٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١١/ ١٧٣. =

وممن عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري تقريباً «ياسين الهروي الحداد» غير أن كتب التراجم تنبه على حفيده، إذ أورد الذهبي في «سير أعلام النبلاء» اسم حفيده وهو «ابن ياسين الشيخ الحافظ المحدّث المؤرخ، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن ياسين الهروي الحدَّاد، صاحب تاريخ هراة. . . . وليس بعمدة. قال الخليلي: ليس بالقويّ. . . قلت (أي الذهبي): توفي ابن ياسين الحداد في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة»[1]. أي أنه عاش في القرن الرابع الهجري فيكون جدُّه «ياسين» هذا عاش قبل ذلك بمائة سنة تقريباً.

يتبين مما سبق أن التسمية بـ «ياسين» كانت قديمة ترجع إلى النصف الأول من القرن الثاني الهجري وهي أقدم من التسمية بـ «طٰهٰ» كما في كتب التراجم. ومن يدري؟ فلعلَّها تعود إلى أقدم من ذلك التاريخ، لكن كانت لرجال غير مشهورين فلم تتعرض لهم كتب التراجم.

= وانظر في ترجمته:
السيوطي، حسن المحاضرة، ١/ ٢٩٤. وفيه أنه «مات سنة تسع ومائتين» وهو خطأ، أو سقط كلمة في المخطوط.

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١٥/ ٣٣٩، ٣٤٠. وانظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٢٨.

وبعض من سُمِّي بـ «ياسين» عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري؛ إذ قال الذهبي في ترجمة حفيد هذا الرجل «ابن ياسين الشيخ المُسْنِدِ الأمين الحجّاج أبو منصور سعيد بن محمد بن ياسين بن عبد الملك بن مفرّج البغداديّ البزّاز السَّفّار... قال ابن أنجب في تاريخه: حجَّ تسعاً وأربعين حجة. قلت (أي الذهبي): أسقطت شهادته لسوء طريقته وظلمه. توفي في خامس صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة»[1] فيكون جدُّه «ياسين» هذا قد عاش قبل ذلك التاريخ بحوالي مائة سنة.

ومنهم من عاش في قرون متأخرة وهم كثيرون:

فمِمَّن عاش في بداية القرن العاشر الهجري: «الشيخ الإمام العلامة يَسّ الشافعي شيخ المدرسة البيبرسية...»[2] ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب وهو يتحدَّث عن أخبار من ذهب في «سنة تسع وتسعمائة»[3].

وممن عاش في القرن الحادي عشر الهجري «ياسين العُليمي الحمصي شيخ عصره في علوم العربية، وصاحب

---

(١) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٥.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨/ ٤٣.

(٣) المرجع السابق، ٨/ ٣٩.

الحواشي المشهورة في النحو»[1] المتوفي سنة (١٠٦١هـ)[2].

وبعضهم عاش في القرن الثاني عشر الهجري وهو ياسين الطباطبائي، شاعر عراقي من أهل البصرة، توفي سنة (١١٧٠هـ)[3].

وبعضهم عاش في القرن الثالث عشر الهجري ومنهم ياسين الخطيب، مؤرخ من فضلاء الموصل، توفي بعد سنة (١٢٣٢هـ)[4] وغيرهم.

يتبين مما سبق أن استعمال كل من «طٰهٰ» و «يٰس» علماً معروف في القديم والحديث.

ولكن هل هما علمان في أصل الوضع؟ بمعنى آخر هل يمكن القول بأن «طٰهٰ» و«يٰس» علمان كسائر الأعلام المرتجلة؟ أم هما من الحروف المقطعة التي تتصدر بها بعض سور القرآن الكريم، ثم تُوسِّع في استعمالهما فصار كل منهما علماً على بعض الناس؟ وهل لهما معانٍ أخرى محتملة غير ذينك المعنيين؟ تساؤلات كثيرة تثار حول «طٰهٰ»

---

(١) الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٨/ ١٣٠.

(٣) المرجع السابق، ٨/ ١٢٨، وانظر ٨/ ١٣٠.

(٤) المرجع السابق، ٨/ ١٢٩.

و «يـٰسٓ». والإجابة على مثل هذه التساؤلات تقتضي من الباحث النظر في أقوال المفسرين، وهم بصدد تفسيرهم لهاتين السورتين، باعتبار أن تسمية بعض الأعلام بـ «طٰهٰ» و «يـٰسٓ» إنما استفيدت من هاتين السورتين؛ لأن «طٰهٰ»، و «يـٰسٓ» علمان على هاتين السورتين، ومما يؤكّد ذلك أنَّ سيبويه يرى أن «طٰهٰ»، و «يـٰسٓ» ونحوهما من الحروف التي تفتتح بها سور القرآن الكريم هي أسماء للسور. وقد عقد سيبويه لذلك باباً أسماه «هذا باب أسماء السور»[1]. نبَّه فيه على قراءة النصب في «يـٰسٓ» وهي قراءة عيسى بن عمر[2]: ﴿يـٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (سورة (٣٦) «يـٰسٓ»، آية ١، ٢). وجعل النصب من جهتين: إحداهما أن يكون مفعولاً لا ينصرف؛ لأنه عنده اسم أعجمي بمنزلة هابيل، والتقدير: اذكر ياسينَ، وهو عنده اسم للسورة؛ قال سيبويه في «هذا باب أسماء السور» ما نصّه: «. . . .

---

(١) سيبويه، الكتاب، مصر، مطبعة بولاق، ط١، ١٣١٧هـ، ٢/ ٣٠، وانظر أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه (ميكرو فيلم) بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ١٠٢٩٦/ف، مصور عن دار الكتب المصرية برقم (١٣٧) نحو، ٤/ق١٠٩.

(٢) انظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مصر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٣/ ٣٨١.

وأما «حَمَ» فلا ينصرف جعلته اسماً للسورة، أو أضفته إليه؛ لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجميّ نحو هابيل وقابيل... وكذلك طاسينُ وياسينُ. واعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء حاميمَ وياسينَ، وإن أردت في هذا الحكاية تركه وقفاً على حاله، وقد قرأ بعضهم ياسينَ والقُرآنِ، وقافَ والقرآن. فمن قال هذا فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: اذكر ياسين»[1].

والقول الآخر أنَّ النصب في «ياسين» بناءٌ على الفتح مثل «كيفَ» و «أينَ» قال سيبويه متمّماً قوله السابق: «ويجوز أيضاً أن يكون ياسينُ وصادُ اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات نحو كيف وأين وحيثُ وأمسِ[2] وسيبويه هنا وإن كان يهتم بالحركة التي في آخر «يَس» وهي الفتحة على قراءة النصب فإنه يؤكد علميَّة «يَس» باعتباره اسماً للسورة.

وما قاله سيبويه في «يَس» يشمل «طٰهٰ» بطبيعة الحال - وإن لم يصرِّح سيبويه بـ «طٰهٰ» فكلاهما اسم للسورة،

---

(١) سيبويه، الكتاب (بولاق)، ٢/ ٣٠، والسيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٤/ق١٠٩.

(٢) المرجع السابق (بولاق)، ٢/ ٣٠، والمرجع السابق، ٤/ق١١٠.

ولننظر الآن في أقوال المفسِّرين وهم يفسِّرون سورتي «طٰهٰ»، و «يٰسٓ»؛ علنا نخرج بشيء جديد يمكن أن يستنتج من تفسيراتهم لـ «طٰهٰ»، و«يٰسٓ» علماً بأننا لن نتطرق إلى اختلاف القراءات والأعاريب المتعلقة بـ «طٰهٰ»، و«يٰسٓ»؛ لأنَّ ذلك يخرج عن حدود هذه الدراسة.

أولاً: «طٰهٰ»:

أشار الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) إلى معنيين في «طٰهٰ»؛ الأول أنه هجاء، والثاني أنه بمعنى يا رجل؛ إذ قال في أثناء تفسيره للسورة: «ومن سورة (طٰهٰ) قال: (طٰهٰ) منهم من يزعم أنها حرفان مثل (حمّ)، ومنهم من يقول (طٰهٰ) يعني يا رجل في بعض لغات العرب»[1] ونلحظ أن الأخفش لم يرجِّح أحد هذين المعنيين على الآخر.

ويرى الفرَّاء أن «طٰهٰ» في قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ حرف هجاء؛ إذ قال في معرض تبيانه لمعاني هذه السورة:

«قوله (طٰهٰ) حرف هجاء»[2].

---

(١) الأخفش (الأوسط)، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٢/٦٢٨.

(٢) الفراء، معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢/١٧٤.